٣

سنوات الطفولة الأولى

ليست هناك سن معينة يمكن اعتبارها السن «الصحيحة» للحبو أو الوقوف أو المشى . كذلك ليست هناك سن « صحيحة » للتربية الجنسية . فكل طفل يبدأ خطوه وفقا لحالته الخاصة ، ونحن انما نستقبل البوادر من أطفالنا ثم نحاول تزويدهم بالمساعدة والمعلومات اللازمة متى تأهبوا لذلك .

الحديث الصريح

للأمور الجنسية لغتها الخاصة بها ، وهذه اللغة تتضمن أسماء أعضاء التناسل وافرازات هذه الأعضاء ووظائفها ، كما تشمل ألفاظا تصف العلاقات الجنسية . فالمحصول اللغوى الخاص بأمور الجنس محصول كبير ، وبعض ألفاظه صعبة ، ولكن تعلم الكلمات الصحيحة سهل كتعلم الأسماء الصحيحة لأجزاء السيارة أو أثاث المنزل أو شوارع الحى .

وتعلم اللغة الصحيحة فى الأمور الجنسية هام للبنين والبنات اذ يخرج هذه الأمور من السر الى الجهر فلا تختفى

وراء ألفاظ تعنى غير ما ينبىء عنه ظاهرها ، أو ألفاظ اذا جاءت على لسان الصغار أمرناهم بالتزام الصمت ، واذا سمعها الكبار بعثتهم على الابتسام .

وليس من العسير على الأطفال حتى ولو لم يتجاوزوا الثالثة أو الرابعة من عمرهم تعلم كلمات مثل القضيب والخصيتين والمهبل والتبول والتبرز ، بل ان هذه الألفاظ قد تكون أشد عسرا على الآباء دون الأطفال . ولكن تعلم الألفاظ والحقائق الصحيحة يوفر كثيرا من الجهد الذى يتطلبه فيما بعد محو ما سبق تعلمه مما هو غير مرغوب فيه ، كما يساعد الأطفال على التفكير فى أجسامهم دون خجل أو حرج .

ولكن هل يقضى هذا على الكلمات والتعبيرات المختصرة ؟ لا . فعبارات مثل « اذهب الى الحمام » و « نظف نفسك » .. كلها عبارات معبرة يلتقطها الأطفال بسهولة وتلائم مواقف يفهمونها ، وهى فى الوقت نفسه تعبيرات مباشرة لا التواء فيها ولا توحى بأن جزءا معينا من الجسم لا يجوز الاشارة اليه أو أنه محرم . ولكن ينبغى تناسى الألفاظ الأخرى التى قد تثير الضحك عند سماعها وعندئذ

تتكون لدى الطفل اتجاهات غير حميدة نحو جسمه ووظائف أعضائه .

ومهما تكن الألفاظ التى تعلمها للأطفال فانك ستجدهم يرددون من حين لآخر كلمات صبيانية عن عادات النظافة يكونون قد التقطوها من الأطفال الآخرين فيحاولون استعمالها والتحوير فيها واقتضابها ثم يكررونها بعد ذلك . وقد يكون فى هذه الكلمات ما يثير أعصاب الأبوين ، ولكن عليهم أن يحرصوا على عدم اظهار أى ضيق فان هذه الأحاديث لا تستمر مدة طويلة وان بدا لنا غير ذلك . وقد يحاول بعض الآباء ابدالها بألفاظ أخرى جذابة فى قالب أغنية من أغانى النوم مثلا ، كما أن الأطفال أنفسهم يستبدلونها بغيرها أحيانا .

يتعلم الأطفال من أسئلتهم

ان الأطفال مولعون بمعرفة كل شىء . فالطفل فى عامه الثالث أو الرابع يرى فى العالم شيئا جذابا حافلا بالناس والأشياء ، وهو شغوف بأن يرى الكثير مما فى هذا العالم ومعرفة الكثير عنه . فالطفل تملؤه الدهشة اذا رأى قطارا أو جرارة أو طائرة أو مصعدا . أو اذا وقعت عيناه على رجل

سمين فى ملابس زاهية ، أو سيدة تلبس ثوب السهرة وتطلى وجهها بالمساحيق . ويشغل عقله الصغير بالتفكير فى كل شىء ومحاولة تجميع شتى الحقائق والمعلومات التى تتجمع لديه ببطء عن العالم المحيط به ، فينطلق من لسانه سيل من الأسئلة التى يوجهها الى أبويه محاولا أن يسد ما فى الصورة التى كونها عن الحياة من ثغرات .

ولكم أدهشتنا شهية الأطفال المتفتحة الى المعرفة . ولهذا فاننا نبذل كل جهد ممكن لتزويدهم بالخبرة الواسعة ، ولجعلهم يرون كل ما فى بيئتهم من أشياء ويمارسونه ويفهمونه ، كما أننا نرحب بأسئلتهم ونفسر لهم كل شىء بعبارات يفهمونها ، ونكرر هذه التفسيرات المرة تلو المرة عندما لا تكون واضحة فى أذهانهم . وهكذا نسعى جاهدين للوصول الى علل الأشياء من أجل أطفالنا .

وأسئلة الأطفال عن الأمور الجنسية مظهر لتعطشهم الى المعرفة ، فمنها مثلا : « من أين يأتى الأطفال ؟ » أو « كيف يصل الناس الى هذا العالم ؟ » أو « كيف أنجبت البقرة وليدها ؟ » . مثل هذه الأسئلة تطرأ بطبيعة الحال على ذهن الأذكياء من الأطفال وتعتبر الاجابة عنها معلومات أولية أساسية . وعلينا نحن الآباء أن نرحب بها ونشجع أطفالنا

على القائها وأن تجيب عنها بصراحة وفى أسلوب يفهمه الأطفال كما نفعل مع غيرها من الأسئلة .

ولكن الآباء يقولون : « انى أشعر بالحرج عندما يسألنى أحد أطفالى سؤالا عن الأمور الجنسية فلا أستطيع الاجابة عنه بنفس الطريقة التى أجيب بها عن أسئلته الخاصة بالنبات أو السيارات » . ولكن سؤالا مثل : « من أين يأتى الأطفال » لا يعتبر فى نظر الطفل سؤالا جنسيا لأنه لا يتضمن أى فكرة من أفكار الكبار عن الجنس ، بل انه مجرد محاولة من جانب الطفل لزيادة فهمه للأشياء .

« من أين يأتى الأطفال ؟ » .

« لماذا نضع البذور فى الأرض ؟ » .

« لماذا يكون داخل الثلاجة باردا ؟ » .

كل هذه الأسئلة متساوية الأهمية فى نظر الطفل ، فلتجب عن أولها كما تجيب عن ثانيها وثالثها تماما .

« ينمو الأطفال فى بطون أمهاتهم » .

« التربة والماء يساعدان البذور على النمو » .

« فى الثلاجة محرك يزيل السخونة ويسبب البرودة » .

ففى هذه الاجابات الكفاية لأنك تكون قد أشبعت بها فضول الطفل وذكرت له الحقيقة وفسرت له شيئا يجهله فى لغة سهلة يفهمها ، ولذلك قد يكون سؤاله التالى : « لماذا يشتغل أبى ؟ » فالأطفال والزراعة والثلاجات قليل من كثير مما يثير فضوله .

تجنب القصص الخيالية

يتساوى فى نظر الطفل أن تذكر له أن الذى جاء بأخيه الوليد طائر عجيب أو ملاك أو أن الطبيب أحضره فى حقيبته أو أنه نما فى بطن أمه .

فلماذا نذكر له الحقيقة اذن ؟

هناك سبب وجيه لذلك . ستتكرر على مر الزمن الأسئلة والمناسبات التى تدور حول الأطفال والأمور الجنسية . والقصص الخيالية لا تجدى نفعا اذ سيكتشف الطفل يوما زيفها ، وعندئذ يحس بأننا قد خدعناه وزيفنا له الحقائق . فاذا عرف من مصدر آخر أن قصة الطائر التى ابتدعها أبواه غير مطابقة للواقع فقد ينتابه شعور بأنه لا يستطيع الاعتماد عليهما بعد ذلك فى الحصول على ما يريد من المعلومات الجنسية . وقد يؤدى تجنب الصدق فى هذه الحالة الى

الاساءة الى العلاقة بين الطفل وأبويه وكذلك الى تشويه الصحة الجنسية .

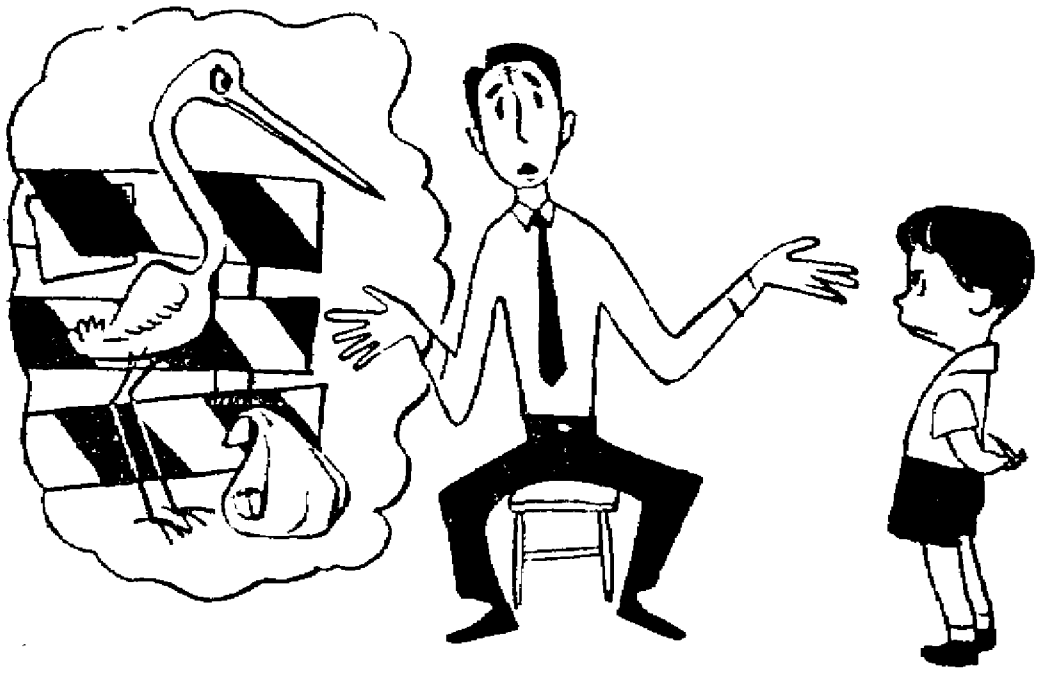

ان ذكر الحقيقة فى المرة الاولى
يجعل من غير الضرورى مواصلة الكذب بعد ذلك

فالجواب البسيط الصريح يعتبر حجر الأساس فى بنـاء المعلومات الجنسية ويترك الباب مفتوحا لأسئلة أخرى . فهو من التربية الجنسية والتوجيه الجنسى بمثابة البـداية التى على الآباء أن يستكملوها لسنوات طويلة .

كذلك تقضى المعلومات الدقيقة المناسبة على الأفكار الخاطئة . فاذا قلت : « ان الطفل ينمو فى معدة أمه » فان

هذا خطأ ، واذا قلت انه « يأتى من بويضة الأم » فان ذلك يحتاج الى شرح معقد حتى لا يحمل الطفل على الاعتقاد بأن الأمر شبيه بما يحدث للطيور . أما اذا أحجمت عن تزويد الطفل بأى معلومات اطلاقا فقد يؤدى ذلك الى أفكار شائهة أو زائفة لأن الطفل سيحاول عندئذ معرفة الحقيقة عن طريق ملاحظاته الخاصة أو ما قد يسمعه أو يقرؤه مصادفة من المعلومات المتناثرة .

ان الطفل اذا ما تلقى هذا القسط الأول من المعلومات عن المسائل الجنسية فان من المحتمل أن ينصرف عن الأمر بعض الوقت . وقد يكرر نفس السؤال بعد مدة من الزمن وعندئذ ينبغى اجابته مرة ثانيـــة فقد يكون نسى الاجابة الأولى ، أو لعله يريد التحقق من أنه سمعها على الوجه الصحيح أول مرة .

وليست هناك سن محددة يبدأ الطفل عندها فى طلب الاستزادة من المعلومات ، فقد يلقى سؤالا ينبىء عن أنه أصبح متأهبا لذلك ، أو قد تقع حادثة مناسبة تتيح الفرصة لتزويده بما يريد . المهم أن يكون الأب والأم على استعداد للاجابة دائما .

كيف يخرج الأطفال ـ وكيف يدخلون ؟

يجب علينا دائما أن نذكر الحقيقة للطفل ، ولكن لابد أن تكون الحقيقة فى مستوى فهمه ، فنقول له مثلا :

« عندما ينمو الطفل ويكبر فانه يخرج من جسم الأم عن طريق فتحة خاصة . ويساعد الطبيب الأم على خروجه »

« ينمو الأطفال من خليتين دقيقتين تشبهان البذور ومنهما تبدأ الحياة . وتأتى احدى الخليتين من الأم والأخرى من الأب وهما تتحدان داخل جسم الأم فيتكون الطفل من اتحادهما »

مثل هذه الاجابات تشبع فضول الطفل الصغير . صحيح أنك لم تذكر كل شىء عن الحيض والبويضات والاتصال الجنسى والتلقيح ، ولكن هذه جميعا أمور سيأتى حينها ويكفى أنك أشبعت فضول الطفل وهديته الى بداية طريق الفهم الصحيح . فعليك ألا تبعث الملل الى نفسه بمعلومات أكثر مما يريد أو فوق مستوى فهمه .

وستجد فيما بعد أن الوقت قد حان لتذكر لطفلك أن الأب له قضيب وأن للأم مكانا معينا فى جسمها — يسمى المهبل — يخرج منه الأطفال ، وأن هناك عملية معينة للاتصال الجنسى . وعندئذ يجدر بك أن تصف هذه الأمور بصورة

عامة غير شخصية . « فقضيب الأب يصل الى مهبل الأم ويضع الحيوانات المنوية فيه ، وهذا ما يسمى بالاتصال الجنسى . فاذا كان فى المهبل بويضة اتحد بها الحيوان المنوى وبدأت الحياة الجديدة » . ولا شك أن هذا الوصف العام يجنب الطفل كثيرا من الفضول والاهتمام الزائدين ما دام لم يشر الى الأبوين بالذات .

ويتعلم الأطفال بالمشاهدة

كل ما فى العالم من وصف نظرى لن يحول دون محاولة طفل فى الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من عمره اختبار الحقائق ، ولن يقضى على فضوله وميله الى استقصاء الأمور بنفسه ، لأن الأطفال يريدون التحقق من كل شىء عن طريق حواسهم .

فهم يريدون أن يشاهدوا كيف يذهب غيرهم من الأطفال الى دورة المياه .

ويريدون أن يتحققوا من أن البنات ليس لهن قضيب كالبنين .

ويريدون أن يتبينوا نواحى اختلاف أجسام الكبار عن أجسامهم .

وكل هذا سلوك طبيعى . فجميع الأطفال يجاهدون فى سبيل تحسين فهمهم للأمور ، وعلينا أن نساعدهم على ذلك . فلتدع الأطفال فى سن الثالثة والرابعة يستحمون معا ، واذا أنجبت الأسرة — أو احدى الأسر المجاورة — وليداً جديدا فلتتح للصغار فرصة مشاهدته يستحم أو يغير ملابسه .

ان الكثيرين من الآباء اليوم لا يكترثون للظهور مجردين من الثياب أمام أطفالهم الصغار ، وهذا أمر لم يكن يحدث فى الماضى الا نادرا . كذلك أصبحت أبواب الحمامات وغرف النوم تترك مفتوحة أحيانا فيرى الصغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها . فاذا كان فى وسع الآباء أن يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ودون شعور بالحرج أو الاضطراب فان ذلك يكون مرانا طيبا لأنه يعين الطفل على الشعور بأن الجنس ليس أمرا مشينا ، كما يساعد على اشباع فضوله فيما يتعلق بأجسام الكبار .

ولكن لا ينبغى أن يحاول أحد الأبوين ارغام نفسه على تغيير ما ألفه من عادات الأسرة ، كأن يترك باب غرفته مفتوحا أو يخلع ملابسه أمام طفله ، طالما أن هذه الأمور تبعث فى نفسه الاضطراب والارتباك . ان اعادة التربية قد تعين على تغيير هذا الشعور ، ولكن من المهم أن يكون سلوك الآباء

أمام أطفالهم طبيعيا خاليا من التكلف ، لأن تلك هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن أن يتعلم بها الأطفال كيف يشعرون نحو الجنس شعورا مريحا .

وتجد فى نهاية هذا الكتيب قائمة تتضمن بعض الرسوم التوضيحية التى تفيد الأطفال فى معرفة موقع المهبل أو مكان نمو الجنين .

اللعب الجنسى

يميل الأطفال فى سن الرابعة الى تمثيل الكبار فى لعبهم فنراهم يتقمصون شخصيات الأب والأم والطبيب والبقال ورجل المطافىء ورعاة البقر والهنود الحمر . واللعب هو وسيلة الأطفال الى تطبيق ما يتجمع لديهم من الدروس والمعلومات وهضمه . فنسمعهم يقولون مثلا : « أنت الطفل وأنا الأم . اذهب الى فراشك والا فانى سأضربك . » أو : « لقد اشتعلت النار فى المنزل . أنا رئيس فرقة المطافىء فأنا الذى أصدر الأوامر ، وعليكم اطفاء النار كما آمركم » . أو : « أنا الطبيب وأنت الأم . سأساعدك على الوضع » .

هذا النوع من اللعب يساعد الأطفال على تحليل ما يسمعونه وتنظيمه وفهمه . والكبار أنفسهم يحلو لهم أحيانا أن يعيشوا

فى جو بعض مواقف حياتهم الماضية ، فيسترجعون مثلا حفلات الزواج ، كما أن لاعبى الكرة يعيشون فى جو الألعاب التى يصورها لهم المدرب على السبورة .

هل تعتبر التربية الجنسية مسئولة عن اللعب الجنسى عند صغار الأطفال ؟ لا .

هل هى وسيلة لمنع هذا النوع من اللعب ؟ أيضا لا .

ان معظم الصغار يحاولون فى وقت من الأوقات أن يتخذوا مما يسميه الكبار أمورا جنسية وتربية جنسية مادة للعب والتجريب . ولكن تشـير الأدلة على أن تزويد الصـغار بالمعلومات عن أجسامهم يقلل من حاجتهم الى التحدث عن الجنس أو اللعب المصطبغ بالصبغة الجنسية ، اذ نجد عادة أن الطفل الذى تعوزه هذه المعلومات هو الذى يحس أن الجنس موضوع له دلالة خاصة وبالتالى يشعر بحاجة قوية الى اللعب والتجريب فى هذه الناحية .

كيف ينمى الأطفال الشعور بالناحية الشخصية

لقد كرسنا كل عنايتنا لمعاونة الأطفال على تنمية فهمهم ومداركهم عن طريق محادثتهم ومناقشة ما يمر بهم من خبرات والاجابة عن أسئلتهم ، وتدريبهم على عادات النظافة ، واظهار

الاتجاهات الناضجة حيال الأمور الجنسية أمامهم . فما الذى نستطيع عمله غير ذلك ؟

ينبغى أن نعمل على ايجاد نوع من الحياة الخاصة فى البيت لكل من الآباء والأطفال . فليس من الحكمة أن ينام الطفل مع أبويه فى غرفة واحدة بعد أن يبلغ العام الأول من عمره ؛ لأن هذا قد يكشف له عن العلاقات الدقيقة بين أبويه وهو غير متأهب لذلك مما يسبب له اضطرابا عميقا . فينبغى أن يدرك الطفل أن فى حياة أبويه جانبا شخصيا خاصا بهما وحدهما . والأطفال عادة يتقبلون ذلك بسهولة متى حاولنا أن يتم بصورة طبيعية ودون أن نفرضه عليهم فرضا .

وينبغى أن يكون للبنات غرفة منفصلة عن غرفة اخوتهم فى أول فرصة ممكنة ، اذ بمجرد أن يبلغ الأطفال السابعة أو الثامنة من عمرهم . فان حاجتهم الى الحياة الخاصة تغدو واضحة .

ونحن عندما نفسّر تغطية الناس لأجسامهم معظم الوقت – لا على أساس أن التجرد من الثياب أمر مشين أو قبيح – ولكن على أساس أنه عادة مألوفة فى المجتمع الذى نعيش فيه ، وعندما نعلم صغار الأطفال أن غيرنا من الأفراد يحبون أن يحيوا حياة خاصة فى بيوتهم ، وأن من الأفعال ما لا ينبغى

اتيانه علنا ؛ فاننا بهذا كله نضع الأساس المتين لفكرة الحياة الشخصية فى وقت مبكر من حياة الطفل .

ومع ذلك يكتسب الأطفال غالبا احساسا بالناحية الشخصية أثناء نموهم ومن غير تلقين . ففى سنوات المدرسة الابتدائية يكتشف الطفل بالتدريج أنه فرد متميز عن غيره ، ويبدأ بصورة غريزية فى الاحتفاظ ببعض أفكاره وآرائه لنفسه ، كما نراه يغلق باب حجرته وقد يحتفظ بمفكرة يخفيها عن الأعين . كذلك تمر به فترات يحب فيها أن يعتزل الناس . فالحياة الشخصية مظهر آخر من مظاهر نمو شعوره بأنه شخص متميز عن غيره ؛ ورغبته فى أن يحتفظ لنفسه ببعض جوانب حياته .

عند ما يبلغ الطفل السابعة أو الثامنة تشتد حاجته
الى الحياة الشخصية

اننا نستطيع اذن أن نعاون الأطفال على ادراك معنى الحياة الشخصية ، ولكن لا ينبغى أن نسرف فى القلق عليهم من هذه الناحية فانهم سوف يفعلون ذلك بأنفسهم فى الوقت المناسب فيكتسبون هذا الاحساس بطريقة طبيعيـة لأنه جانب من جوانب عملية النمو التى يمر بها كل طفل .

٤

سنوات المدرسة الابتدائية

هل فكرت يوما فى أهمية المدرسة بالنسبة لطفل فى الرابعة او الخامسة أو السادسة ؟ ان دخول المدرسة يعنى فى نظر معظم الأطفال انهم قد كبروا ، ولذلك يحسد الصغار اخوتهم وأخواتهم على ذهابهم دونهم الى الروضة والمدرسة الابتدائية.

فعندما يدخل الطفل المدرسة يكون قد بدأ مرحلة جديدة من مراحل حياته . والأمهات يدركن هذه الحقيقة . فعندما يلوحن بأيديهن مودعين أحد أطفالهن عند ذهابه الى المدرسة للمرة الأولى فانهن ينتزعن أنفسهن من النافذة قائلات : « انه لم يعد وليدا . لقد فقدت وليدى ! » .

وهذا صحيح الى حد ما ، فالطفل الذى يبلغ سن المدرسة يتخلص من بعض اعتماده السابق على أسرته ، ويبدأ فى توسيع أفقه العقلى وزيادة معلوماته عن الحياة واكتساب أصدقاء جدد يهتم بآرائهم ، والتعرف الى آخرين من الكبار وبخاصة مدرسيه .

ولا شك أن للمدرسة ، وللمهارات التى يتعلمها الطفل ، والمعلومات التى يحصلها ، وآفاقه الاجتماعية التى تتسع ، تأثير هام على تربيته الجنسية فيما بين السادسة والثانية عشرة.

سد الثغرات

أسامة فى الرابعة من عمره ، وهو يلعب مع ليلى ابنة الجيران البالغة من العمر ثلاثة أعوام ، وتقتصر قراءاته على قصص الأطفال المصورة (اذ تقرأ له أمه كل ليلة احداها عند النوم) ، ولم يسبق له الذهاب الى السينما ، كما أن الصحف والمجلات تبعث الملل الى نفسه .

وهكذا كانت معلومات أسامة عن الأمور الجنسية متوقفة على بيئته بوجه خاص. فاذا التزم أبواه جانب الصراحة والصدق فى اشباع فضوله فى هذه السن ، واذا كانت اتجاهاتهما حيال عادات النظافة موسومة بالاتزان والهدوء فاننا نستطيع القول عندئذ أنه قد ظفر من التربية الجنسية بما يناسبه وبما فيه الكفاية .

أما هشام فقد أدرك الثامنة من العمر ، وهو عضو فى جماعة الأشبال (وبعض رفاقه فى هذه الجماعة يبلغون التاسعة

والعاشرة) ، وهو يقرأ الكتب المدرسية والهزلية والصحف (وبخاصة صفحة الفكاهة والرياضة والأخبار المصورة) . كما يواظب على سماع برامج العصر والمساء فى الراديو . ويذهب الى السينما مرة فى الأسبوع . وهشام يميل الى بنت معينة ولكنه لا يعترف بذلك بل يعاكسها بقسوة ، وان كان قد فكر يوما فى دعوتها الى أن تصحبه الى السينما .

الحاجة الى المعلومات

ان هشام بالنسبة الى أسامة يعتبر صبيا اجتماعيا وسيما ، فقد صادف الكثير من الحقائق المتصلة بالعلاقات بين الجنسين، وسمع فكاهات ومناقشات تدور حول الجنس والحب والتناسل والعلاقات الجنسية فى الراديو والصحف والأفلام ، كما أن أصدقاءه « شرحوا » له بعض الأمور الجنسية . كذلك سمع أحاديث كثيرة لم يكن من المفروض أن يسمعها صبى فى الثامنة .

فهشام ومن هم فى مثل سنه أشد حاجة الى مزيد من المعلومات الجنسية عن غيرهم من صغار الأطفال الذين لم يبلغوا بعد سن دخول المدرسة ، وذلك بسبب نموهم العقلى والجسمى والانفعالى من ناحية ، ولأن نوع الأحاديث التى

تبلغ أسماعهم من مختلف المصادر خارج نطاق الأسرة تولد عندهم أفكارا مهوشة مضطربة من ناحية أخرى .

والأحاديث التى تدور بين الأطفال حول الأمور الجنسية أكثر مما يتصور الآباء . وتقضى الحكمة بأن نتقبل حدوث قدر معين من ذلك وأن نعلم أن لهذا القدر وظيفة يؤديها . ولهذا ينبغى على الآباء أن يعدوا أبناءهم لما قد يسمعونه ، وأن يتوقعوا نوع المعلومات التى يحتمل أن تصل اليهم ويشجعوا أطفالهم على أن يلجأوا اليهم للاستفسار عما يريدون . وبذلك يستطيعون سد الثغرات فى معلومات أطفالهم وتوضيح ما يغمض عليهم واعانة من يذهبون منهم الى المدرسة على وزن ما يسمعونه عن النواحى الجنسية قبل قبوله أو رفضه .

فهم الاتصال الجنسى

ينبغى تزويد تلاميذ المدارس بتفسير لعملية الاتصال الجنسى اذا لم يكونوا قد عرفوا شيئا عنها ، فقد تكون لديهم فكرة عن الاخصاب ، وربما سمعوا اشارات متفرقة الى هذه العملية . ولكن الطفل على أى حال فى حاجة الى أن يتأكد من أن الاتصال الجنسى — أو أى اسم بديل آخر سمعه — ليس

رذيلة من رذائل الكبار ، وانما هو عملية طبيعية محترمة تهدف الى غرض خاص ويقوم بها المتزوجون .

الأسئلة تمهد السبيل

قد يسأل طفل فى الثامنة سؤالا كالآتى : « هل يقتصر انجاب الأطفال على المتزوجين دون غيرهم ؟ لقد ذكر فريد أن أى امرأة قد تنجب طفلا ، وقال ان الناس قد يمارسون الاتصال الجنسى ولا ينجبون أطفالا » . وهنا يكون الوقت قد حان لتزويد الطفل ببعض مبادىء المسئولية فى السلوك الجنسى .

فاذا أجبنا الطفل قائلين : « ان الأمهات والآباء ينجبون الأطفال لأنهم يحبونهم ، وأن الاتصال الجنسى لا يمارسه الا الكبار لأن صغار الأطفال ليسوا على استعداد لذلك ، كما أن من الضرورى أن يكون للوليد بيت يتربى فيه وكبار يعنون به » . فان هذا قد يساعد الطفل على أن يفهم أن الاتصال الجنسى وظيفة هامة جدية قاصرة على الكبار .

فأطفالنا فى حاجة الى تفسيرات بسيطة صريحة كالآتية « قد ينجب بعض الناس أطفالا وهم غير متزوجين ويعتبر هذا فى بلادنا خطأ جسيما . والسبب فى ذلك أن الطفل يخرج الى

الحياة فلا يجد بيتا يعيش فيه . وسنذكر لك فيما بعد لماذا لابد أن يقتصر الاتصال الجنسى على المتزوجين » .

« نعم . هذا صحيح . ان النساء قد ينجبن أطفالا . ولكنك تعلم أنه لابد لانجاب طفل من وجود رجل وامرأة . وعلى ذلك فلكي تنجب أى امرأة طفلا لابد أن تتصل برجل ، ولهذا يتزوج الناس ويمارسون الاتصال الجنسى وينجبون أطفالا» .

« قد يقوم بعض الناس بالاتصال الجنسى ولا ينجبون أطفالا . وتمارس الأم والأب هذه العملية لأن كلا منهما يحب الآخر كثيرا ، والاتصال الجنسى احدى الوسائل التى يظهر بها المتزوجون حبهم لبعضهم » .

وعلى كل شخص أن ينتقى الألفاظ المناسبة مستهديا فى ذلك بمدى قدرة الطفل على الفهم . ولكن لابد أن تكون الحقائق التى يتضمنها تفسير علاقة الرجل بالمرأة صحيحة . فبهذه الطريقة وحدها يستطيع الأبوان مساعدة الطفل على تبين المعلومات الصحيحة من المعلومات الزائفة ، وأن صراحة الأبوين وصدقهما كفيلان بأن يحملا الطفل على أن يلجأ اليهما المرة بعد المرة كلما غمض عليه أمر .

لا تنتظر الأسئلة .

كثير من الآباء لا ينتظرون حتى يلقى الأطفال أسئلتهم عن الأمور الجنسية بل يتخذون من حوادث الحياة اليومية مناسبات لتزويد أطفالهم بالمعلومات الضرورية فى هذه النواحى. فمولد طفل فى الأسرة — أو فى احدى الأسر المجاورة — ، أو زيارة لحديقة الحيوان أو لاحدى المزارع ، أو ملاحظة يبديها الصغير عن فرق تشريحى بسيط ، كل هذه مناسبات يستطيع الآباء استغلالها لشرح بعض النواحى الجنسية ولتكوين اتجاهات محمودة .

فاذا بلغ الطفل سن المدرسة دون أن يسأل شيئا عن النواحى الجنسية فان الوقت يكون قد حان قطعا لنبدأ نحن توجيه نظره الى ذلك . ومن أسهل الوسائل لهذا الغرض تزويده بنشرات أو كتب تعالج هذا الموضوع ، فان قراءة الطفل لكتاب من هذا النوع ، أو قراءة الكتاب له ، يجعل المناقشة فى موضوعاته يسيرة وطبيعية . ويجد القارىء فى صفحة ١٠٩ قائمة بكتب تفيد الأطفال فيما بين سن ٥ ، ١٢ فى هذه الناحية، وهى كتب تحتوى على رسوم توضيحية جيدة كما أنها سهلة الأسلوب شيقة القراءة .

اذا تباطأ الطفل فى القاء أسئلته
فان زيارة لحديقة الحيوان قد تثير اهتمامه

وان قليلا من القصص ما يفوق قصة الحياة ذاتها من حيث الاثارة .

ويميل الأطفال عادة الى الاكثار من التحدث عن أمورهم الشخصية اذا لم يكن آباؤهم على جانب مفرط من الصرامة ، واذا ما أتيحت لهم فرص الاشتراك فى نشاط رفاقهم . وكثيرا ما يتردد الطفل اذا ما شعر بأنه سيعاقب ، أو أن أبويه لن يفهمانه ، اذا ما سأل سؤالا يدور حول الأمور الجنسية . ولهذا فان الحل السليم لمشكلة تردد الطفل الذى بلغ السابعة أو الثامنة فى القاء هذه الأسئلة على أبويه انما يكون باقامة علاقة وثيقة قوامها الصداقة بين الآباء والأبناء .

التجريب مرة أخرى

اذا حدث التجريب فى النواحى الجنسية فى الفترة الواقعة بين سن ٨ ، ١٢ فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد، اذ نجد الصبية مثلا يعرضون أعضاءهم التناسلية على بعضهم، ويعتبر ذلك محاولة من الطفل لتحديد مدى مشابهته لأقرانه. كذلك قد يلجأ البعض الى ممارسة العادة السرية — كمحاولة لتخفيف ما يشعرون به من توتر جسمى وانفعالى — ، ومرة أخرى نقول ان هذا السلوك لا يعتبر غير طبيعى ، ولا يدمغ الطفل بالشذوذ أو الاجرام أو الانحراف ، كما أنه لايستدعى عقابه أو تهديده بأنه سيصاب بأمراض خبيثة ، ولا يتطلب محاضرات خلقية تلقى عليه ، كما أنه لا يبرر نبذه وتحقيره .

الشعور بالاثم

من السهل أن نجعل الطفل فى هذه السن يشعر بأنه ارتكب خطيئة بشعة ، وأن نخلفه محملا بوزر من الخطيئة لا مبرر له اطلاقا ما دام التجريب أمرا طبيعيا . ولذلك ينبغى على الآباء أن يحرصوا على ألا يشعروا الأطفال بأنهم ارتكبوا شرا ، بل عليهم أن يعالجوا الموقف بأن يتيحوا لهم الفرصة للاستمتاع بحياة عائلية سعيدة آمنة ، وييسروا لهم سبل الحصول على المعلومات الملائمة الصحيحة .

وقد يحدث فى هذه السن بعض التجريب بين أفراد من الجنسين . فماذا يكون الحال عندئذ ؟

من الممكن مواجهة الموقف بصراحة . فاذا كان الأب أو الأم أو المعلم على يقين من حدوث شيء من ذلك فعليهم أن يشرحوا للأطفال (فى جلسات ودية خاصة) أن هذا النوع من اللعب خطأ بالنسبة لمن هم فى مثل سنهم ، وأن العلاقات الجنسية لابد أن تقتصر على الكبار ، أما الصغار فعليهم الانتظار حتى يكبروا . قد لا يكون من الممكن دائما توضيح الأسباب حتى يقتنع الأطفال ، ولكن يكفى فى بعض الأحيان أن يصدر الكبار أمرا حازما كالآتى : « لا . لا ينبغى أن تفعل ذلك » فان الأطفال يرتاحون عادة لمثل هذا الاجراء من ناحية الأب أو المعلم لأنه يساعدهم على تجنب أشياء يعلمون أنه لا ينبغى لهم عملها . أما اذا تركناهم يواصلون هذه الأمور فان مشاعر الاثم والقلق الناجمة عن الاستنكار الاجتماعى قد تنتابهم حتى وان لم ينالوا عقابا أو تأنيبا من أحد .

والأفضل من ذلك أن يقوم الآباء والمعلمون بالاشراف على نشاط الأطفال ، فيكونون دائما على علم بمكان وجودهم

وبنوع النشاط الذى يمارسونه فى وقت ما ، وأن يعملوا على شغل أوقات فراغهم بأعمال شيقة سواء فى داخل البيت أو خارجه .

أن اللعب الجنسى ليس من المشكلات الهينة ، وعلى الآباء والمعلمين أن يتوقعوا حدوثه ولا ينبغى أن يروعهم عندما يحدث .

الفصل بين الجنسين

يبدو أن بعض الآباء يرون أن فصل البنين عن البنات فى هذه السن المبكرة كفيل بالقضاء على النتائج المترتبة على اختلاطهم . ولكن هذا الفصل لا يؤدى فى الحقيقة الا الى خلق جو من الغموض والاثارة . فلا ينبغى على الآباء أن يحاولوا منع أطفالهم من الاهتمام بأفراد الجنس الآخر ، بل عليهم أن يسعوا دائما الى توجيه هذا الاهتمام الى النواحى السليمة والمقبولة من الناحية الاجتماعية .

فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على اشراكهم معا فى الأعمال الممتعة ومواقف اللعب ، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو أفراد الجنس الآخر .

النشاط المشترك للبنين والبنات

وعلى الآباء تشجيع أطفالهم على المساهمة فى نواحى النشاط المشتركة بين البنين والبنات مما تشرف عليه المدرسة والجمعيات الرياضية أو المراكز الاجتماعية ، فهذا النشاط المشترك ليس « مواعيد غرامية » بل هو فرص لاشتراك البنين مع البنات فى متع الرياضة وركوب الخيل أو الدراجات والسباحة وغير ذلك . واذا حدث « استلطاف » بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر اليه على أنه نوع من الصداقة وليس « غراما » أو « عشقا » . والمعاكسات البريئة التى من

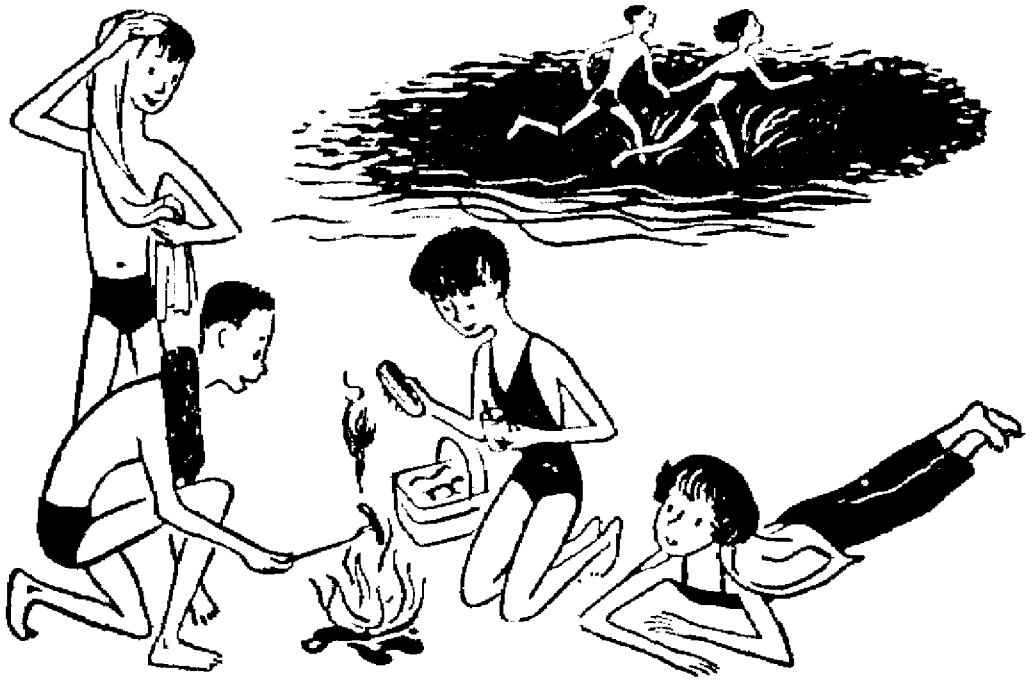

ينبغى على المدارس والآباء أيضا
تشجيع قيام العلاقات الطبيعية بين الجنسين

نوع « مراد وسهير صديقان حميمان » قد تبعث فى صداقتهما دفئا كانا يفتقران اليه . وقد تولد فيهما الشعور بأننا نتوقع منهما أن يسلكا مسلك الكبار .

وفى وسع المدرسة القيام بدور هام فى ترسيخ الشعور الطبيعى بالصداقة بين البنين والبنات بمعاونتهم على العمل جنبا الى جنب فى الفصل والنادى والجمعيات العلمية والفرق الرياضية ، وعلى أن يقدر كل منهم مزايا أفراد الجنس الآخر وقدراته .

الاقبال على المراهقة

كذلك قد يتساءل الأطفال المقبلين على المراهقة عن العملية الجنسية والشذوذ الجنسى وغير ذلك من الأمور مثل الضعف الجنسى والأمراض التناسلية وطرق منع الحمل . فالمراهقة مرحلة النمو السريع ، كما تتميز بأن الأمور الجنسية تناقش فيها بحرية تزيد كثيرا عما كان مألوفا من قبل .

وهنا أيضا ينبغى على الآباء أن يواصلوا تزويد أبنائهم بالاجابات الواقعية عن أسئلتهم . أما الاجابات التى من نوع : « أين سمعت مثل هذا الكلام ؟ » ، « لا تشر الى هـذا الموضوع مرة أخرى فى هذا البيت . » ، « ستعرف الكثير عن

هذا الأمر فيما بعد » ، فانها تقلق بال الطفل ولا تمده برد شاف ، كما تقيم بينه وبين والديه حجابا .

كما أن التفسيرات البسيطة لأمور مثل منع الحمل أو مرض الزهرى أو غير ذلك مما قد يستفسر عنه الطفل يجعل من الأب أو الأم فى نظره شخصا يستطيع أن يلجأ اليه دائما فيما بعد كلما أراد الاستفسار عن ناحية تتعلق بالجنس ، وهذا هو أهم شعور يمكن أن يتكون لدى الطفل نحو الأمور الجنسية — أى الشعور بأن من الطبيعى أن تثير هذه الأمور تعجبه ، وأن يتحدث عنها ويهتم بها ويستفسر عن نواحيها المختلفة .

الأطفال فى حاجة الى معرفة ما يتوقع حدوثه

ان التربية الجنسية — كما سبق القول — تتطور مع الطفل . ففى سنوات الدراسة الخامسة والسادسة يقف الأطفال على عتبة طور من النمو والتغيرات الجسمية ينجم عنه ازدياد نضجهم من الناحية الجنسية وعندئذ يكونون فى حاجة الى معرفة ما ينتظر أن يحدث لهم ولغيرهم .

فالحيض والاستمناء أثناء النوم ونمو شعر العانة وظهور الثديين عند البنات وزيادة حجم الأعضاء التناسلية عند

البنين ، كل هذه أمور قد تجعل الطفل يتساءل عما اذا كان نموه سويا .

وهناك من الأطفال اليوم من ينتابهم الخوف عند الاستمناء أثناء النوم لأول مرة ، وقد يعتقدون أنهم أصيبوا بمرض تناسلى ، أو أن هناك عيبا فى أجسامهم .

وبالمثل تفزع بعض البنات عند حدوث الحيض الأول وينظرن الى ذلك على أنه أمر مخجل قذر مبدد للقوى وباعث على الألم .

فلا بد اذن من شرح هذه التغيرات قبل حدوثها باعتبارها خطوات فى عملية النمو والانتقال الى طور الأنوثة أو الرجولة. وينبغى أن نوضح أن البنين ، والبنات ، ينضجون فى أعمار مختلفة وليس هناك وقت « ملائم » ووقت « غير ملائم » لذلك ، بل ان كل بنت وكل ولد له وقته الخاص به .

ولا يكفى أن نشير الى موعد حدوث الحيض ، بل لابد أن نفسر **سبب** حدوثه أيضا فنقول :

« لكل بنت مبيضان، فاذا ما بلغت الثانية عشرة أو الثالثة عشرة أو ما يقرب من ذلك فان هذين المبيضين يبدآن فى افراز خلايا بيضية مرة فى كل شهر تقريبا . وعندما تخرج البويضة من المبيض فانها تمر فى قناة فالوب فى طريقها الى الرحم ، فاذا

قابلت فيه خلية منوية حدث التلقيح وتكون جنين . وحتى قبل خروج البويضة من المبيض فان الرحم يتهيأ لاستقبالها فى حالة تلقيحها بأن يكوّن جدارا من الدم والمواد الأخرى التى تعيش عليها البويضة الملقحة . فاذا لم يتم تلقيح البويضة فانها تنتقل الى الرحم ، ثم ينطلق الدم الذى تجمع فى جدار الرحم خارجا من الجسم . وخروج هذا الدم هو الذى يعبر عنه باسم الحيض .

« وتحدث هذه العملية عادة كل ٢٨ يوما . وهكذا تحيض النساء كل ٢٨ يوما — ولكن الحيض قد يحدث عند بعضهن كل ٢٥ يوما أو ربما كل ٣٠ يوما . واذا ما بدأت هذه العملية عند صغار الفتيات فانها قد تحدث شهرا ولا تحدث فى الشهر التالى ، أو قد تحدث مرة بعد ٢٨ يوما وأخرى بعد ٢٥ يوما . وقد لا تنتظم دورة الحيض عند الفتاة الا بعد مرور عدة أعوام » .

ولا شك أن البنات يردن أن يعرفن هل فى حدوث الحيض ما يؤلم ، وهل صحيح أنهن لا يستطعن الاستحمام أثناء الحيض وغير ذلك من الأسئلة المماثلة ، فلا بد من طمأنتهن أن الحيض وظيفة طبيعية عند المرأة ، وأن معظم النساء يواصلن أثناءها أعمالهن العادية وتسليتهن فى يسر وسهولة .

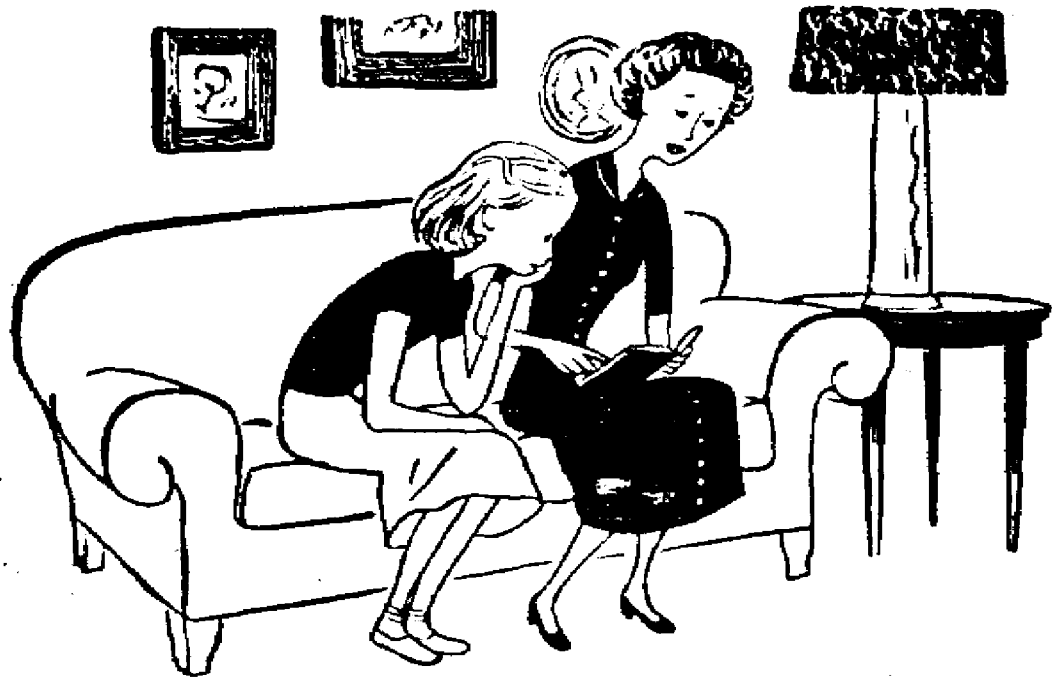

ان المعلومات التمهيدية المناسبة
تساعد البنات على الاقتناع بأن الحيض وظيفة طبيعية

والواقع أن تقلص العضلات والآلام الحادة تتضاعف ، بل وتتسبب أحيانا ، من المخاوف والخرافات التى تدور حول الحيض ، فمجرد تسميته « بالمرض الشهرى » ينمى الاعتقاد بأنه شىء بغيض منفر . أما اذا نظرت الأم الى الحيض على أنه وظيفة طبيعية عادية وليس « مرضا » أو « لعنة » كتب على المرأة أن تتحملها مرغمة ، فانها عندئذ تستطيع تكوين اتجاه صحى لدى بناتها .

وترجع أهمية هذا الاتجاه الى أن مشاعر الفتاة نحو الحيض تؤثر فيما بعد على تكيفها الجنسى .

معلومات أخرى

كذلك ينبغى أن يعرف الناشئون سبب حدوث الاستمناء أثناء النوم وأهميته . « فعندما ينضج الصبيان فى حوالى سن ١٣ أو ١٤ فان الخصيتين تأخذان فى افراز خلايا الحيوانات المنوية التى قد تلقح البويضة فى المرأة لتكوين الجنين . واذا شعر الصبى باثارة جنسية فان عضوه التناسلى يمتلىء بالدم فيتضخم حجمه ويتصلب وهذا ما يسمى بالانتصاب ، وقد يحدث الانتصاب بدون اثارة جنسية ، ففى أوائل المراهقة يحدث الانتصاب عادة نتيجة للتوتر الجسمى العام كعندما يحس المراهق بتوتر عضلاته فى الفصل . وكثيرا ما ينتاب المراهق شعور بالحزن نتيجة لاعتقاده بأن زملاءه قد لاحظوا ما حدث له ، الأمر الذى يخالف الحقيقة الا فى النادر ، أو لاعتقاده بأن ذلك غير طبيعى وهو اعتقاد خاطىء .

« واذا ما اشتد التوتر فلا بد من بلوغه ذروة معينة اذ تتقلص عندئذ عضلات خاصة فتدفع بالسائل المنوى الى الخارج وهذا ما يسمى « بالقذف » . وهو يحدث أحيانا أثناء النوم ويطلق عليه عندئذ اسم « الاستمناء الليلى أو الاستمناء أثناء النوم » ، ولكن المراهقين يسمونه «الاستحلام» . وهذا الاستمناء أمر طبيعى وليس هناك نظام خاص لحدوثه . ومن

الطبيعى أيضا أن تراود الفتيان أحلام جنسية فى هذه الفترة . واذا ما لجأ المراهق الى العادة السرية فقد لا يحدث الاستمناء الليلى » .

وتستطيع الكتب التى من نوع « فهم الأمور الجنسية » (صفحة ١٠٩) أن تساعد الناشئين على تكوين فكرة صحيحة عن التغيرات التى تنتظرهم ، وأن تعينهم على الشعور بالاطمئنان من ناحية أجسامهم التى دخلت فى طور النضوج الجنسى . كما أن هناك أفلاما كثيرة تفيد فى ذلك أيضا منها فيلمى **النمو الانسانى** ، **وقصة الحيض** . ويمكن الاتصال بالعنوان الآتى للاستزادة من المعلومات عن الفيلم الأول :

The E.C. Brown Trust, Education Center Building, 220 S.W. Alder Street, Portland 4, Oregon.

أما عن فيلم قصة الحيض فتستطيع الكتابة الى :

Educational Department, International Cellucotton Products Company, 919 North Michigan, Chicago 10, Illinois.